مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D

مقالات RCD

10

العراق والمعادلة القلقة في الشرق الأوسط

د. علاء الخطيب
كاتب وباحث

مركز الرافدين للحوار
Al-Rafidain Center For Dialogue
R.C.D

مقالات RCD

العراق والمعادلة القلقة في الشرق الأوسط

د. علاء الخطيب
كاتب وباحث

نبذة عن مركز الرافدين للحوار

يُعَدُّ مركزُ الرافدين للحوار RCD من المراكز النوعية في العراق التي تجمعُ على منبرها النخبَ السياسيةَ والاقتصادية والأكاديمية الناشطة في تداول الافكار البناءة، فهو مركز فكري مستقل (THINK TANK)، يعمل على تَشجِيعِ الحِوارات في الشؤون السِياسِيّةِ والثَقافية والاقتصادية بين النخب كافة؛ لتعزيز التجربة الديمقراطية، وتحقيق السِلْم المجتمعي، ورفد مؤسسات الدولة والمجتمع بالخبرات والرؤى الاستراتيجية؛ ابتغاء تفعيل دورها والارتقاء بأداءها. و يمثل المركز فضاءً حراً يتّسِم بالموضوعية والحياد ويوظف مخرجاته لمساعدة صناع القرار وتوجيه الرأي العام نحو بناء دولة المؤسسات.

تأسس المركز في الاول من شباط (فبراير) 2014 في مدينة النجف الأشرف على شكل مجموعة افتراضية في الفضاء الالكتروني تضم عددا من السياسيين والأكاديميين ورجال الدولة التنفيذيين والقضاة والدبلوماسيين ورجال الدين، وقد تطورت الفكرة لاحقاً، ليتم إكسابها الصفة القانونية عن طريق تسجيل المركز في دائرة المنظمات غير الحكومية NGO التابعة للأمانة العامة لمجلس الوزراء العراقي.

يضم «مركز الرافدين للحوار RCD» اليوم كمشاركين في برامجه وفعالياته ونشاطاته أكثر من خمسة الاف عضو عراقي وعربي واوربي واسيوي من التوجهات السياسية والاختصاصات الأكاديمية كافة، اتفق فيه الجميع على اعتماد الحوار ركيزة أساسية لمواجهة المشكلات، وإنتاج حلول استراتيجية، تتناغم ورؤية المركز في بناء شرق اوسط جديد ومختلف ينطلق من عراقٍ مزدهرٍ. كما يعمل في اروقة المركز وضمن كوادره المتقدمة اكثر من 70 شخصاً فاعلاً ومن مختلف الاختصاصات قد توزعوا ما بين مجلس الادارة وهيأة المستشارين والباحثين وزملاء المركز والكادر الاداري فهم يتنافسون فيما بينهم من اجل تقديم النتاجات العلمية والثقافية والرؤى السياسية والاجتماعية والاقتصادية الرصينة التي تخدم الوطن والمواطن.

لم يكتفِ المركز بالتواصل الالكتروني، بل أقام مجموعة من النشاطات على أرض الواقع شملت عدداً من الندوات والمؤتمرات وورش العمل والجلسات الحوارية التخصصية والملتقيات السنوية وفي مجالات متعددة، كما عمد المركز الى الاهتمام بالنتاجات العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تصدر في قارتي اوربا واسيا حاملاً على عاتقه ترجمتها الى اللغة العربية للاستفادة منها، فضلاً عن طباعة الكتب المؤلفة ذات الصلة بالواقع السياسي والثقافي والاقتصادي والامني، كما شرع بنشر سلسلة الاطاريح والرسائل الجامعية التي تعنى بالأمور التي تخدم الصالح العام فقد تمت طباعة مجموعة منها، كما اعد المركز مجموعة من استطلاعات الرأي الميدانية الى غير ذلك فضلاً عن اصداره مجلةً علمية محكمة تضم بين طياتها مجموعة من الابحاث والمقالات العلمية والثقافية تحت مسمى مجلة (رواقات).

فيما يعد ملتقى الرافدين (RCD-FOURM) معلماً بارزاً ضمن انشطة المركز والذي يعد الاول من نوعه في العراق، والاكثر سعةً وتنظيماً، ويهدف الى اثراء الحوار بين صناع القرار والخبراء في القضايا التي تهم البلد والشرق الاوسط، وتعزيز النقاشات بشأنها، وتبادل الخبرات وابرام الاتفاقيات ومذكرات التفاهم وآليات التعاون.

العراق والمعادلة القلقة في الشرق الأوسط

تعيش منطقة الشرق الأوسط والعراق تحولاً مهماً يُنذر بحرب أصبح قيامها غير مستبعد، على الرغم من وجود أطراف شرقية وغربية تحاول الحول دون وقوعها، أو عدم اتساعها في أقل تقدير، فالجميع يعلم ان هذه الحرب تختلف عن سابقاتها، ولن تكون بين دولتين، بل بين محورين متصارعين، وانْ كانت إيران وكيان إسرائيل المحتل رأسا الحربة فيهما.

فللحرب مآربُ أخرى غير معلنة، ومؤشر ذلك المواقف الصينية الروسية من صراع الشرق الأوسط، ودعمهما للموقف الإيراني، وربما تحريضهما او دفعها للحرب، كي تنخرط واشنطن في أتونها، ومن ثم جعل المصالح الأمريكية في المنطقة معرضة للخطر، وسيضعف الدور الأمريكي، وسيتم خلال ذلك إشغالها وإبعادها عن دعم تايوان التي تشكل عقدة العلاقات الصينية الأمريكية، ومن ناحية ثانية ستُتيح لروسيا الفرصة لإشغال الناتو عن أوكرانيا.

وقد عبّر المسؤولون الأمريكيون مراراً عن خشيتهم من الحرب في الشرق الأوسط، فقد قال الدكتور «بريت بروين» المدير السابق للتعاون والانخراط الدولي لحل الأزمات في البيت الأبيض، إن القلق الأميركي من إمكانية اندلاع «صراع كبير» في منطقة الشرق الأوسط، غير معهود. ففي 17 آذار (مارس) 2023، أشار إلى وجود عدد من العوامل أدت إلى هذا القلق، والتي من شأنها المساهمة في خلق وضع يبدأ كحالة نزاع تنطلق مع شرارة تخرج سريعاً عن السيطرة، بشكل ربما يقود إلى تفجر الأوضاع بشكل غير مسبوق.

يأتي ذلك على خلفية تحذيرات أطلقها قائد القيادة الوسطى الأميركية الجنرال «مايكل كوريلا»، من توفر ظروف تفاقم الصراع في الضفة الغربية، وتلميحه لإمكانية اندلاع ما سماه «صراعا كبيرا» في المنطقة في أي لحظة بحسب ما نقله موقع الجزيرة.

تُشير المعطيات الى أن هناك جمراً يتّقد تحت الرماد، فـ(إسرائيل) تحشد جيشها على حدودها الشمالية (لبنان) وإيران تتحدث عن رد غير تقليدي، وإنْ تراجعت في خياراتها حيال موضوع الرد على (إسرائيل)، إذ انتقلت من الحديث عن (الرد المزلزل)، إلى (الرد المناسب) إلى (الإحتفاظ بحق الرد)، وأخيراً تحدثت عن أن «هناك فخ يُراد لإيران أن تقع فيه من خلال الرد على إسرائيل»!، فيما قام حزب الله بنشر تقارير وأفلاماً تثير الرعب في الداخل الإسرائيلي، واكتفى بضرب القواعد العسكرية الإسرائيلية كما جاء على لسان أمينه العام. أما البحرين فقد احتفلت بمرور عام على اتفاقية التكامل الأمني والازدهار الشامل مع الولايات المتحدة، التي تقول في أحد بنودها: «في حالة وقوع عدوان خارجي أو التهديد بعدوان خارجي ضد أحد الطرفين، يتعين عليهما ... الاجتماع فوراً على أعلى المستويات لتحديد الاحتياجات الدفاعية الإضافية وتطوير وتنفيذ الردود الدفاعية والرادعة المناسبة». وتُشير الاتفاقية على وجه التحديد الى ما تعده «الخطر الإيراني»، وما يتعلق بإعطاء الولايات المتحدة الضوء الاخضر لـ (إسرائيل)، وتطلق يدها في المنطقة كخطوة مقبلة.

في ظل هذه الظروف التي تمر بها المنطقة، يسعى العراق الى تجنب حالة الصدام وأن لا يكون ساحة لمعركة ليس طرفاً فيها. وفي هذا الصدد، صرح وزير الخارجية فؤاد حسين بأن العراق «يتحرك داخلياً وخارجياً من أجل عدم الدخول في حرب». إن هذا التصريح يعكس، بشكل أو بآخر، حالة العراق غير المستقر داخلياً، فهو متأرجح بين رغبته في السلام الإقليمي وبين صراع الارادات المحلي، وكل ذلك في خضم لهيب منطقة الشرق الأوسط، وعدم حسم خياراته الوطنية بمعزل عن الإرادات المتنازعة داخلياً وخارجياً.

لعنة الجغرافيا والقرار الرمادي

ما زالت لعنة الجغرافيا تطارد العراق، ومما يزيد من حجم هذه اللعنة هو القرار العراقي والذي عادةً ما يكون ضمن المنطقة الرمادية. لم يشهد العراق، منذ تشكيل دولته، وضعاً يكون فيه قراره مستقلاً دون تأثيرات أو فواعل خارجية تحكم هذا القرار، وإنْ بدا بعيداً عنها. فعلى سبيل المثال كان البريطانيون في العهد الملكي يتدخلون في القرار العراقي، وتجلى ذلك في علاقتهم بالعراق ضمن «حلف بغداد». وفي الحرب العراقية الإيرانية كانت اليد الخارجية واضحة، وقد وصفها صدام حسين «بالمؤامرة» حينما قال: (لقد بدأت المؤامرة على العراق بالحرب العراقية الإيرانية، إذ كانت عملية لإلهاء العراق وتعطيل جانب من قدرات إيران الخيرية). إن هذا الخطاب الذي ألقاه صدام عام 1990 يذكرنا بوصية قيصر روسيا الخامس (بطرس الأكبر) وتحديداً في المادة التاسعة منه إذ يقول فيها: «ينبغي العمل بسرعة على إضعاف إيران بل إزالتها من الوجود لكي يسهل علينا الوصول إلى خليج البصرة ومن يحكم هناك سيكون صاحب السيادة». وقد يُخبرنا مثل هذا الاقتباس وغيره عن أسباب الصراع بين طهران وواشنطن وخشية العراق الحقيقية، فالسيطرة على الخليج وإضعاف إيران كذلك يبدآن من العراق.

أرض لإنتاج الأزمات

لا يكاد العراق يخرج من أزمة حتى يقع في أخرى، ولا يكاد يتعافى حتى ينتكس، فهناك محركات كثيرة لإنتاج الأزمات. إن البيئة العراقية بيئة خصبة لها، فالتنوع الإثني والمذهبي والديني، الذي يفترض أن يكون مصدر إثراء وتنوع وطني يمكن يتحول إلى أزمة مرعبة تنذر باختلال التوازن الوطني في كثير من الأحيان، وقد نُفِذت الكثير من الأجندات عبر هذا الشرخ المفتعل، كحرب الشمال والحرب الطائفية، وتهجير المسيحيين، واختطاف الايزيديات وغيرها. وقد دفع العراق أثماناً باهظة جراء هذه الأزمات، لذا فإن خلق معادلة جديدة تحمي أركان الدولة العراقية من حالة القلق المستمر عبر تاريخه هو أمر ضروري، والعمل على انتاج نظام سياسي يعالج الأزمة بدلاً عن تكريسها.

إن العراق دولة قلقة، اجتماعياً وسياسياً، فعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي رافق الدولة العراقية الحديثة منذ تأسيسها. فقد أنتهى الحكم الملكي بكارثة وجريمة بشعة بقتل العائلة المالكة، وقد جاء الحكم الجمهوري ليفتح باب تدخل العسكر بالسياسة وإدارة الدولة وعدم التداول السلمي للسلطة. وانتهى حكم عبد الكريم قاسم بمجزرة دموية كذلك، وبدأت حقبة البعث في العام 1968، واستهلها بمذابح ثم حرب الشمال والحرب العراقية الإيرانية وغزو الكويت وانتهت الحقبة بتدمير العراق ووقوعه تحت الاحتلال، ثم توالت الأزمات بدءاً بالحرب الطائفية مروراً بدخول داعش، وحتى وقتنا الحاضر.

المستقبل المعقّد

إن السؤال الذي يجب أن يُطرح: ما هي العقبات التي تحول دون قوة موقف العراق داخلياً وإقليمياً وما الحل الأفضل لذلك؟ يواجه العراق عدة عقبات أهمها: تواجد القوات الأجنبية على أراضيه، ووجود مقرات حزب العمال الكردستاني التركي (PKK)، شركات الحماية الأجنبية، ووجود الفصائل المسلحة.

أولاً: القوات الاجنبية في العراق: رغم صدور قرار مجلس النواب العراقي رقم (18) لسنة 2020 الذي يطالب الحكومة بإخراج القوات الأجنبية، إلا ان المفاوضات مستمرة دون حلول واقعية. فالولايات المتحدة الأمريكية لا تريد الخروج من العراق بحجة أن هناك تهديد ارهابي ما يزال مستمراً وان تنظيمات إرهابية مثل داعش يمكن أن تعود في أي لحظة. أما الحجة الأخرى التي يقدمها الأمريكان فهي أن القوات العراقية غير جاهزة تماماً لحماية البلد، فضلاً عن أن واشنطن تَعدُّ القرار الصادر من مجلس النواب العراقي لا يمثل كل العراقيين!، فهناك رفض كردي وتحفظ سني على القرار، وهذا الموقف يعقّد إمكانية التوصل إلى اتفاق يصب في صالح سيادة العراق واستقراره وقوة قراره، ويضعف من قوة موقف المفاوض العراقي في هذا المجال. أما الحكومة العراقية فهي واقعة تحت مطرقة مطالب نواب المكون الشيعي والفصائل المسلحة وبين سندان الرفض والضغط الأمريكي. وإن الحل يكمن في الوصول إلى صيغة تحفظ المصالح الأمريكية وإبقاء التوازن قائم في العلاقة مع إيران، وهذا توازن قلق بطبيعة الحال، إذ لا يمكن أن يدوم ما دام هناك صراع مستمر بين الطرفين: الولايات المتحدة وإيران.

ثانياً: حزب العمل الكردستاني: واحدة من المشاكل العويصة التي تواجه سيادة العراق وتجعله قلقاً هو تواجد قوات حزب العمال الكردستاني في شماله. وعلى الرغم من أن هذا الحزب مصنف من قبل الولايات المتحدة كمنظمة ارهابية، إلا ان الأدلة تشير الى أن هناك تعاون بين الحزب وبينها عن طريق «وحدات حماية الشعب الكردية» السورية المدعومة امريكياً، وقد ذكر المتحدث باسم الخارجية الأمريكية (مارك تونر) قائلاً «لا نستطيع أن نغفل وجود روابط بينهم، ولا نستطيع الجزم بأنه لا يوجد أي علاقات معهم».

يحقق وجود حزب العمال الكردستاني في شمال العراق مصلحة أمريكية؛ فهي من جهة تجعله بعبعاً للحكومة التركية، ومن جهة أخرى يكون استمراره كأحد النقاط الخلافية بين العراق وتركيا وتتخذه الأخيرة ذريعة لتواجد القوات التركية على الأراضي العراقية، ممّا يسبب ضعف وقلق أمنى للعراق، فحكومة بغداد لا تستطيع في الوقت الحالي أن تُقدِم على قرار يكون حلاً جذرياً لهذه المشكلة، فضلاً عن صعوبة دخول القوات العراقية الى إقليم كردستان العراق دون التنسيق المسبق مع الإقليم، ناهيك عن ان هنالك رفض واضح من قبل أربيل لمثل هذا الحل، وهذا بحد ذاته يشكل تحدياً بيناً لبغداد.

ثالثاً: شركات الحماية الأجنبية: تنتشر عشرات الشركات الأمنية في العراق، ويتمركز وجود هذا النوع من الشركات غالباً في محافظات بغداد والبصرة وأربيل ويتركز عملها في حماية بعض كبار الشخصيات فضلاً عن البعثات الدبلوماسية والشركات النفطية. كما أن العراق ما يزال يعتمد على شركات الحماية الاجنبية في حماية مطاراته ومنافذه المهمة فضلاً عن بعض المهام الأخرى. يعتقد البعض أن لهذا النوع من الشركات مهام تجسسية واستخباراتية

تضر بالأمن الوطني العراقي، مما يشكل تهديداً أمنياً مستتراً قد يدل على ضعف الحكومة للقيام بمهماتها الأساسية المتمثلة بحماية مواطنيها ومنشآتها الحكومية. يتمثل درء خطر مثل هذا التهديد في الاستغناء عن هذه الشركات وارجاع الوضع إلى طبيعته، وان كلَّف ذلك دفع مبالغ لهذه الشركات نتيجة التعاقدات السابقة.

رابعاً: الفصائل المسلحة: هناك العديد من الفصائل المسلحة التابعة للأحزاب والكيانات السياسية المختلفة، منها ما هو منضوٍ تحت قيادة القوات المسلحة العراقية ومنها ما هو خارج هذه المنظومة وأخرى متأرجحة. يعد هذا الملف ضمن الملفات الحساسة والمعقدة التي تؤثر في استقرار الدولة وقراراتها في كثير من الأحيان. لقد تعرض العراق لاعتداءات وخرق للسيادة من قبل القوات الأمريكية مراراً كردٍّ على ما تعده الولايات المتحدة تهديدات من بعض الفصائل لوجودها ومصالحها في العراق. لكن في الوقت نفسه، أدت الفصائل لا سيما المنضوية تحت لواء الحشد الشعبي دوراً مهماً وتاريخياً في هزيمة تنظيم داعش الإرهابي وساعدت في استتباب الوضع الأمني الداخلي في بعض المناطق التي شهدت احتلال داعش. وقد خلقت معادلة توازن في الواقع العراقي.

ما هو الحل؟

يكمن الحل في العمل على ترميم العراق داخلياً ليكون قوياً داخلياً وخارجياً، من خلال الحفاظ على استقراره السياسي وأمن وسلامة مواطنيه عن طريق التحرك نحو حلحلة الأزمات، ولعل من ضمنها مد الجسور مع الجارة تركيا، والتفاهم مع الحكومة المحلية في إقليم كردستان والتعامل مع خوف أربيل من هذا الحل الذي ينذر بسقوط ورقة مهمة لها في مواجهتها مع الأتراك.

ولكن نواة الحل تبقى دائماً متجسدة في التوافق الداخلي وتغليب المصلحة «الجميعية» على مصلحة الجماعة، وأن تسعى بغداد إلى تكريس نظام سياسي موحد، من خلال تقوية المؤسسات العسكرية والأمنية وإبعادها عن السطوة السياسية عبر ترسيخ عقيدة عسكرية وأمنية وطنية تكون ضامنة لأمن واستقرار الوطن والمواطنين.

www.alrafidaincenter.com
009647826222246
alrafidaincent

alrafidaincenter.com
alrafidaincent
ص . ب . 252

info@alrafidaincenter.com
مركز الرافدين للحوار RCD
العراق - النجف الاشرف - حي الحوراء - امتداد شارع الاسكان
العراق - بغداد - الجادريـة - قرب تقاطـع ساحة الحريـة